مفهوم الله لدى كانط قبل ثلاثيته النقدية

المدرس المساعد غيداء حبيب علي
قسم الفلسفة/ كلية الآداب / جامعة البصرة
الأستاذ الدكتور زيد عباس كريم الكبيسي
قسم الفلسفة/ كلية الآداب / جامعة الكوفة

الملخص:-

نتناول في هذا البحث مفهوم الله لدى كانط قبل كتبه النقدية الثلاث[*] (نقد العقل المحض، نقد العقل العملي ، نقد ملكة الحكم) ، لنُحدد موقف كانط من مفهوم الله وأدلة أثبات وجوده ، وأيضاً لنوضح مدى أهتمام كانط بمفهوم الله حتى في مؤلفاته المبكرة ، ومنها كتاب (التاريخ الطبيعي للعالم ونظرية السماوات) ، و بحث بعنوان (الاساس الممكن الوحيد لإثبات وجود الله) ، التي يعرض من خلالهما آراءه حول مفهوم الله ، ويقوم هذا البحث على محاور أساسية هي :-

١. **بيان سبب أهتمام كانط بمفهوم الله.**
٢. **مفهوم الله وتاريخ العالم الطبيعي .**
٣. **جدليات أثبات وجود الله .**

الكلمات المفتاحية : مفهوم الله ، الفلسفة النقدية ، إيمانوئيل كانط.

Kant's Concept of God before his Critical Triad

Asst. lect. Ghydaa Habeeb Ali
Department of Philosophy/ College of Arts /
University of Basra
Prof. Dr. Zaid Abbas Kareem
Department of Philosophy/ College of Arts /
University of Kufa

Abstract:

In this study, we deal with Kant's concept of God before his three critical books (Critique of Pure Reason, Critique of Practical Reason, the Critique of Judgment) to define Kant's position on the concept of God and the pecies of evidence for his existence and to clarify the extent of Kant's interest in the concept of God even in his early writings, including the book *The Natural History of the World and The Theory of the Heavens*, and a study entitled *The only possible basis for establishing the existence of God*, through which he presents his views on the concept of God, and this is based on basic axes:

1. **Explain why Kant is interested in the concept of God.**
2. **The concept of God and the history of the natural world.**
3. **Controversies to prove the existence of God.**

Keywords: The Concept of God, Critical Philosophy, Immanuel Kant.

المقدمة:-

ربما يُعتقد أن مع التطورات العلمية والتكنلوجية الكبيرة في عصرنا الذي نعيش فيه ، إننا قد تجاوزنا مرحلة البحث عن مفاهيم ميتافيزيقية ، بينما هناك من يجد أن الحاجة أصبحت أكثر إلحاحاً في البحث فيها ، خاصة مفهوم الله. لما يحتله من مكانة رئيسة في حياة البشر ، من خلال بحثهم عن غايات وأسباب وجودهم ، والسؤال حول مصيرهم . فجاءت الدراسات متعددة متنوعة منها ما دار بحثه حول اثبات وجود الله ، ومنها ما ركزت على كينونة هذا الخالق ، لتتباين الدراسات بين المؤيدين وغير المؤيدين ، وتعرضت للنقد بين الحين والآخر. و مع كانط في فلسفته النقدية كان محور النقد قد أتجه إتجاهاً جديداً مختلفاً عن سابقه ، إذ إننا إمام السؤال عن إمكانياتنا العقلية في البحث في هذا المفهوم ، فهل نمتلك القدرة الذهنية في معرفة الله ؟ والذي أنتهى من خلاله أنه من غير الممكن معرفة الله نظرياً ثم قدم دليله الأخلاقي للإيمان بالله .. ألخ. لكن ما هو موقف كانط من مفهوم الله قبل كتبه النقدية وما أنتهى إليه النقد لاحقاً ، هل كان موقفه كما هو في الفلسفة النقدية – ثلاثيته النقدية – هذا ما سيعرض له بحثنا من خلال المحاور التالية:-

اولاً/ سبب أهتمام كانط بمفهوم الله ونقد أدلة وجوده :

قد يكون من المهم الاشارة في البدء الى سبب أهتمام كانط بمفهوم الله ، والتركيز على نقد أدلة وجوده في الفلسفة وأيضاً أهتمام كانط بالبحث عن دليل لإثبات وجود الله . فهل كان نقد كانط نابعا من توجه فكري خاص به (ايديولوجي) أم أنه نقد فلسفي موضوعي كان لا بد منه ، تطلبه عصر التنوير[**] (عصر كانط) أم أن نقد كانط لهذه الأدلة هو بحث عن دليل يمكن ان يكون الأساس في أثبات وجود الله ويكون كافياً ويغني عن تلك الأدلة؟

يرى جيمس كولينز في كتابه (الله في الفلسفة الحديثة) أن من يفهم نظرية كانط حول مفهوم الله ، فإنه يشاهد الحقبة السابقة من النظر اللاهوتي ملخصة ، كما يشاهد التطورات اللاحقة على هيئة نواة . فقد أقنع ألتدريب ألديني ألمبكر لكانط ومطالعته المتحمسة لروسو(١٧١٢ – ١٧٧٨م) بالحاجة إلى عنصر ألهي في الأخلاق ، ومن تعليمه الجامعي وعكوفه الطويل على مؤلفات أتباع فولف ، ودراسته الوثيقة لليبنتز فقد كان يحترم تناول المذهب العقلي المنهجي لطبيعة الله. لكن احاطته الواسعة ايضاً بالتجريبيين الانكليز دفعته الى ان يفحص حدود المعرفة الانسانية فحصاً نقدياً ، وان يبحث في صحة الميتافيزيقا ، وبالتالي لكل مفاهيم الميتافيزيقا ومنها مفهوم الله. لكن كانط ترك ذهنه مفتوحاً لكل اطراف النزاع الكبير عن مفهوم الله. الا انه لم يكن متقبلاً سلبياً لهذه المؤثرات المتباينة. بل انه فحص هذه المواقف بوصفه فيلسوف عصر التنوير في ضوء نظرية المعرفة، واعتقاد اصيل نابع من نفسه ، واستعارته المفضلة في وصف الفيلسوف النقدي بأنه القاضي النزيه الذي يستمع بإخلاص الى شهادة الخصوم لكي يصدر حكماً

في وعيهِ العقلي للقانون. لقد استعد كانط إذن لفض النزاع الطويل الذي أستمر الى عصر التنوير، فيما يمكن ان يؤكده العقل عن مفهوم الله على نحو فلسفي . وكان يرى ان الفلسفة تعاني الالم باعتقادها التقليدي حول الله، لذا فإن حلاً فلسفياً صادقاً قد اصبح ضرورة ملحة[١] .

كان مفهوم الله قد شغلَ كانط كثيراً وفي العديد من بحوثه ومقالاته قبل كتبه النقدية، فقد أكد في مقالة له بعنوان (ما التوجه في التفكير ؟) عام ١٧٨٦م ، على أن مفهوم الله والأقتناع بوجوده لا يمكن أن يوجد إلا بالعقل ، ولا يمكن أن يصدر عنه ، لا أن يَرد إلينا عن طريق ألهام أو خبر مأثور – مهما عظمت سلطته ً– وأكد على أنه لا يُمكن لأي تجربة و أي حدس أن يكونا مُناسبين لهذا المفهوم ، ولا يُمكن لهما أن يُثبتا دون لبسٍ وجود الله ، وبالتالي لا أحد يستطيع أن يقتنع فوراً بوجود الله عن طريق حدس ما ، فلا بد من أن يسبق ذلك ، الأعتقاد العقلي. وعندئذٍ قد تُعطينا بعض الظواهر والتجليات الفرصة عند الحاجة للنظر فيما إذا كُنا بالتأكيد على حق في أن نرى ألهاً فيما يُكلمنا أو يتجلى لنا ، وفي أن نُثبت هذا الأعتقاد عند الضرورة[٢]. وفي ختام مقالته يُخاطب كانط الناس قائلاً : ((يا أحباء الإنسانية و أحباء ما هو أقدس الأشياء لديها ، أقبلوا ما يبدو لكم أنه الأكثر جدارة بالأعتقاد ، وذلك بعد تمحيص دقيق صادق ، سواء تعلق الأمر بوقائع ، أو بمبادئ تعود إلى العقل))[٣]. يُعد موقف كانط الأساسي من الدين نموذجاً لموقف المفكر التنويري ، فقد كان يشك شكاً عميقاً في المعتقدات والممارسات الدينية الشائعة ، ويقف ضداً من هيمنة السلطة الدينية على عقول الناس ، لكنه لم يُعادي ما فهمه على أنه الدين الحقيقي، بل أعتبره أمراً بالغ الأهمية[٤].

يمكن تحديد بعض النقاط المهمة حول أهتمام كانط بمفهوم الله ، ونقده الأدلة السابقة في الفلسفة ، ومحاولة إيجاد دليل في أثبات وجود الله ، وهي :-

١. كان كانط يرى ضرورة وضع حلاً فلسفياً صادقاً للأعتقاد التقليدي حول مفهوم الله من خلال الأعتماد على العقل.
٢. تأكيده على ضرورة البحث والتمحيص الدقيق والنقد قبل قبول أي شيء حتى أقدس الأشياء وهو مفهوم الله.
٣. أكد على أن النقد يُخلصنا من الدوجماطيقية فيما يختص بمفاهيم ميتافيزيقية مثل مفهوم الله.
٤. يُعد موقفه تعبيراً عن الفكر التنويري لعصر التنوير فكان له موقف الضد من هيمنة السلطة الدينية على عقول الناس.
٥. كذلك يُعد موقفه موقف مفكر أصيل الفكر من خلال فحصه لمواقف المفكرين المختلفة والتعامل معها بحيادية.
٦. لم يقصد كانط الأبتعاد عن جوهر الدين ، فلم يكن موقفه سلبياً من جوهر الدين بل كان يعده أمراً مهماً
٧. كان هدف كانط تخليص المسائل الدينية من القصور الضار الذي لحق بها من أجل بلوغ مرحلة الأنوار.

٨. حاول كانط أن يفسر النظريات حول مفهوم الله تفسيراً علمياً ، وأن يجعل كل من العلم الطبيعي والعلم الإلهي في وفاق معاً

٩. وخلاصة القول أن كانط أراد التعامل مع المسائل الدينية تعاملاً جريئاً بمنهج نقدي بهدف تخليصها من كل ما لحق بها تاريخياً بسبب هيمنة السلطة عليها سواء سلطة دينية أو سياسية .

ثانياً: مفهوم الله وتاريخ العالم الطبيعي:

كرس كانط في فترة زمنية ليست بالقصيرة جهوده العقلية بشكل اساسي لمعالجة مشكلات العالم الطبيعي ، كالفيزياء والكيمياء والفلك ، وتخصص جديد هو(الجغرافيا الفيزيائية) الذي يُعد هو مؤسسه ، أو ما يُطلق عليه (علوم الارض). هذا العمل بلغ ذروته في كتابه (التاريخ الطبيعي للعالم ونظرية السماوات – ١٧٥٥) . في هذا الكتاب يُعد كانط أول من طرح فرضية الأصل السديمي[*]الشمسي، ثم جاء بعده لابلاس [**](١٧٤٩ – ١٨٢٧ م) فأضاف إليها تفصيلات رياضية واسعة [٥] .

وقد أرست كتابات كانط السابقة على ثلاثيته النقدية الكثير من آرائه الثابتة عن مفهوم (الله) ، فقد اراد ان يجعل مذهب الألوهية متمشياً مع العلم الطبيعي الشائع وهذا أستلزم رفضاً للطرائق العقلية السابقة في أثبات وجود الله ، فهو يرى انه من الممكن العثور على الاساس السليم لإثبات وجود الله. ففي كتاب (التاريخ الطبيعي للعالم ونظرية السماوات) وضع فيه الخطوط العامة لتصوراته عن أصل العالم ، كما أشترط فيه أيضاً شرطاً ضرورياً لأي مذهب حيوي فلسفي في الالوهية وهو قبوله التام للنظرة النيوتونية إلى العالم ، و أصرارهِ على وضع النظريات الألوهية داخل الأطار العلمي، أو على الأقل دون تعارض مع النزعة الميكانيكية العلمية، ويرى كانط أن للتفسير العلمي إنجازاً مستقلا ينبغي علينا أن نوائم بينه وبين نظرتنا عن الله [٦].

رأى كانط أن نيوتن تأرجح ولم يستطع أن يُشير إلى أي سبب مادي ، الذي بأمتداده في مجال نظام الكواكب يجب أن يُحقق عمومية الحركات. و حافظ على فكرة أن اليد المباشرة (لله) وضعت هذا النظام في الأعلى بدون أستعمال قوى الطبيعة[٧]. وبعد أن عرض كانط في هذا الكتاب لقوة الجذب ، و للحركة في هذا الكون ، والترتيب المنهجي لكل النجوم و الكواكب .. قال: ((و لكن في النهاية ماذا ستكون خاتمة هذه الترتيبات المنهجية ؟ أين سيتوقف الخلق نفسه ؟ سنلاحظ أنه لو فكرنا بالخلق حسب الصلة بقوة الكينونة اللانهائية فإن ذلك يعني أن ليس للخلق حدود أبداً))[٨]. أن الفرق بين نيوتن وكانط – كما ذكرنا سابقاً– هو أن نيوتن صاحب قوانين الحركة رأى أن يد الله مباشرة في نظام الكون ، بينما رأى كانط أن الله أودع الخصائص الكامنة في الكون ، وما يحدث لاحقاً هو نتيجة لقوانين الطبيعة وليس ليد الله المباشرة في نظام الكون.

رأى كانط إننا لا نقترب إلى لا نهائية قوة الله في الخَلق ، لو إننا كشفنا عن مجال ظهورها في الحيز الموصوف بقطر طريق التبانة [*] عما لو إننا كشفنا عن قوته في كرة ذات محيط بقدر إنج واحد. فإن أي شيء نهائي له حدوده و له علاقة مُقررة و محددة بالوحدة يكون بعيداً بنفس الصورة اللانهائية[٩]. وعليه و بحسب كانط : ((الآن ، سيكون من الغريب أن نضع المقدس في فعلٍ مؤثر مع جزء صغير بصورة لا نهائية من طاقته الخلقية و أن نتخيل قوته اللانهائية التي هي موطن كنز اللانهائيات الحقيقية للطبيعيات و للعوالم وهي لا حول لها و محبوسة في نقص أبدي في الممارسة ، ليس ذلك من المناسب كثيراً أو بالأصح أفضل أكثر ، فهل ليس من الضروري أن نقدم تجسيد الخلق كشيء لا يمكن قياسه بأي مقياس ، من أجل حمل دليل على تلك القوة ؟))[١٠]. أي أن وضع تأثير الله المباشر حتى في الأجزاء الصغيرة في هذا العالم وكأننا نقول أن قوة الله اللانهائية مقيدة بنقص أبدي في تسيير كل شيء .

ولهذا السبب رأى كانط ان حقل الكشف عن الخصائص المقدسة هو لا نهائي تماماً مثل هذه الخصائص السرمدية نفسها والتي ليست كافية في طرح الدليل على جوهر الوجود السامي حيث لا تكون مُوحدة مع اللانهائية المكانية. صحيح أن الجذب والشكل والجمال والكمال هي علاقات للعناصر الاساسية وللمادة المكونة للبنية الكونية. و ويمكن ملاحظة ذلك في الترتيب الذي لا يزال يظهر في كل الاوقات في حكمة الله. إذ من المناسب جداً (لحكمة الله) أن تطور نفسها كنتيجة غير مُرغمة للقوانين الكونية المزروعة فيها. ومن ثم نستطيع بالتفكير الجيد أثبات أن نظام و ترتيب البُنية الكونية يحدث تدريجياً من خلال تجهيز القضية الطبيعية المخلوقة في تتابع زمني. ولكن المادة الأساسية نفسها التي خصائصها وقواها تُشكل أساس كل التغييرات هي النتيجة المباشرة الفورية للكينونة المقدسة وهي نفسها يجب أن تكون بالتزامن غنية جداً وكاملة بحيث أن تطور مكوناتها يمكن من خلال الأنسيابية الأبدية أن يمتد على طول خطة تكشف في نفسها عن كل ما هو ممكن ، أي خطة ليس لها أبعاد (لا نهائية)[١١] . هذا يعني أن هناك نتيجة مباشرة فورية لله هي المادة الأساسية وفيها وضع الخصائص الداخلية وهي غنية جداً ثم ما يحدث من تغييرات يحدث تدريجياً من خلال تتابع زمني ، مما يعني أن هناك نقطة بدء لها علة وجود ، ولا بد لها من نهاية.

ولما كان لكل شيء نقطة بداية وسبب ، وفي داخله إشارة على طبيعته المحدودة وله نهاية ، طبقاً الى التميز في ترتيبه ، فإن فترة نظام العالم فيها ديمومة كامنة ، قد تحتاج إلى الآف أو ملايين القرون لتدميرها ، لكنها في النهاية تتحلل تدريجياً إلى لحظة أنهيارها. وهنا يُشير كانط إلى أنه حتى نيوتن المعُجب الكبير بصفات الله الظاهرة في كمال أعماله و صاحب الرؤيا الأعمق في أن الطبيعة تكشف كُلية الوجود المقدسة ، قد وجد نفسه مُضطراً إلى التنبؤ بتحلل الطبيعة من خلال الميل الطبيعي الذي تؤدي إليه ميكانيكا الحركة[١٢]. وهنا أشارة الى ان نيوتن آمن بالميل الطبيعي لميكانيكا الحركة في تحلل الطبيعة ، مما يؤكد

نظرة كانط إلى ان ميكانيكا الحركة او قوانين الطبيعة هي التي تنظم بنية حركة الكواكب والعالم الطبيعي ، لا يد الله المباشرة.

على أية حال ، رأى كانط إننا لا ينبغي أن نأسى على ما يحصل لبُنية الكون من تدمير مستمر وأعتباره خسارة حقيقية للطبيعة ، إذ أن الكون يُظهر غناه بشكل كبير من خلال المحافظة على بعض الأجزاء من غير ضرر مع توليد منتوجات جديدة لا تُحصى . فبالرغم من أن هناك مثلاً عدد لا يحصى من الزهور و الحشرات يتدمر في يوم واحد بارد ، إلا أننا لا نلحظ ذلك بغض النظر عن حقيقة أنها أعمال طبيعية جميلة من الفن و دلائل على كلية الوجود المقُدسة. ومن جهة أخرى ، هذا الموت سيحصل مجدداً وبصورة أكبر. والبشرية التي تبدو أفضل الخلق، هي ليست أستثناءاً من هذا المبدأ بحد ذاتها. فالطبيعة تُظهر أنها عادلة و غنية و لا ينفذ فيها أنتاج المخلوقات الأكثر تميزاً و الأقل أهمية ومغزى ، فإنتاج البشرية لا يُكلف الطبيعة شيئاً فهي تمسح الآثار المؤذية للهواء الملوث والزلازل و شعوباً بأكملها من على وجه الارض ، ولكن لا يبدو أن الطبيعة قد عانت من أي ضرر أو أذى بسبب ذلك. وبنفس الصورة ، تُغادر عوالم و أنظمة كاملة المسرح عندما تكون قد أدت أدوارها . أن طبيعة الخلق اللانهائية كبيرة بما يكفي بحيث أنها تطل على عالم من العوالم بالمقارنة معها، كما عندما ننظر الى زهرة أو حشرة بالمقارنة مع أرضنا. في نفس الوقت ، بينما تُجمل الطبيعة الأبدية و بمشاهد مُتغيَّرة ، فأن الرب يبقى مشغولاً بخلق لا يتوقف و يُشكِّل المادة لتطوير وخلق عوالم أخرى أكبر و أعظم[١٣]. إذن بقدر ما يحصل من أنهيارات طبيعية و أنتهاء لحياة الموجودات الطبيعية ، فإن هناك ديمومة لأجزاء وتوليد مستمر لأشياء كثيرة أخرى بحيث أنه لا يبدو أن الطبيعة قد تأثرت بأي أنهيارات جزئية ، والله – حسب كانط – يُشكل المادة الأساسية لخلق عوالم اخرى أكبر و أعظم ، بمعنى لا ينشغل بتفصيلات الكون الجزئية فقوانين الطبيعة كفيلة بإدارتها ، لأنها تمتلك الخصائص الداخلية التي وضعها الله فيها.

وهي إشارة واضحة لما نُسميه بـ (التدبير الآلهي) ، بل وردت الكلمة بنصها في قول كانط : ((لنُعود أعيُننا على هذه السقوطات المُرعبة كطرق معتادة للتدبير الآلهي و ننظر إليها حتى بنوع من المتعة . في الحقيقة ليس هناك ما هو أنسب من ذلك لغنى الطبيعة. لأنه عندما يستهلك نظام عالم ما في التسلسل الطويل لفترته كل التعددية التي يمكن أن يحويها تنظيمه و عندما يكون حينها قد أصبح رابطة قابلة للإنقضاء في حلقة الكينونة ، فإن لا شيء يكون مُناسباً أكثر مما يلعبه كدور أخير في دراما التغيّرات الفائتة في الكون وهو جزء من كل شيء نهائي و بالذات يترك ما يدين به للخلود . تُظهر الطبيعة وحتى في الأجزاء الصغيرة من كينونتها قاعدة عملياتها هذه والتي أوجبها المصير السرمدي لها على مستوى واسع . وأن سعة و حجم ما يستمر و يموت في هذه القضية هو ليس حتى عائقاً طفيفاً لأن كل ما هو كبير سيصبح صغيراً. نعم ،

سيصبح نقطة ، مجرد نقطة لو قارناه باللانهائية التي يُقدمها الخلق من خلال تتابع أبدي في فضاء لا حدود له))[١٤].

أن قوانين الطبيعة هي التي تنظم الطبيعة لكن هذه القوانين الداخلية تعتمد على الله . ويرى كانط أن هناك شواهد كافية تُثبت أعتماد المادة وقوانينها (الداخلية) على الله. فالمادة لا يمكن أن تكون لها هذه القوانين التي تُحقق النظام العام والوحدة ، و ما يُصاحب ذلك من المحافظة على الكائنات العضوية الحية ، ما لم يكُن ثمة أصل مشترك لهذه القوى المادية جميعاً ، وهذه العلة الأصلية لابد أنها كانت عقلاً كلياً أسمى ، وضعت فيه طبائع الأشياء من أجل تحقيق أغراض مشتركة مجتمعة ، وُضِعَتْ بالضرورة في علاقات مُنسجمة بواسطة علة أولى تتحكم فيها[١٥]. كما يبدو أن كانط أستدل من خلال قوانين الطبيعة (الداخلية) على أن هناك خالق وليس هذا الخلق أعتباطاً ، إذ أكد على أنه لا يُمكننا النظر إلى بُنية الكون بدون أدراك النظام الممتاز لها وسمو ترتيبها ، والدلالات الأكيدة على يد الله في كمال علاقاتها الداخلية ، فيقول أن العقل بعد أن تمعن و تجول وأندهش في مثال هذا الجمال والتمُيز فأنه بلا شك سوف يهزأ بأي حماقة جريئة تسمح لنفسها بأن تنسب كل هذا إلى الصدفة والأحتمالات ، فلابد أن تكون هناك قوة لا نهائية قد أنتجته ، وإلا سيكون من المستحيل مواجهة الكثير جداً من الأغراض في بُنية الكون التي تسير نحو قصدٍ واحد[١٦].نُلاحظ أن كانط أستدل من خلال القوانين الداخلية لا من الموجودات الظاهرية على وجود الله.

و لأن الطبيعة تُظهر الكثير جداً من التجانس والنظام فيما تنتجه بواسطة القوانين الكونية و أن الطبيعيات الاساسية لكل الاشياء يجب أن يكون لها أصل مشترك في جوهر أصلي واحد مُحدد ، يجب أن لا تكشف الطبيعة عن شيء عدا العلاقات الداخلية المشتركة المتبادلة والمتجانسة ، لأن خصائصها تتكون أصلاً في ذكاء سامي مفرد واحد ، كانت فكرته الحكيمة قد خططتها مع صلات داخلية كونية وزرعتها فيها ، تلك القدرة المتروكة لوحدها للقيام بعملها و لا تولدّ شيئاً غير الجمال وغير النظام. ويرى كانط إننا إذا ما وضعنا ذلك في الاعتبار ، فإن الطبيعة ستبدو أكثر إستحقاقاً بالنسبة لنا مما تبدو عموماً ولن نتوقع شيئاً من التطورات الطبيعية عدا التجانس والنظام[١٧]. فالطبيعة خصبة في الثمار الجميلة والكاملة التي تعرض فيها التجانس والتميُز ، و هي أيضاً تتجانس مع المدى الأجمالي لكينونتها مع فوائد البشرية ومع تمجيد صفات الله. ينشأ عن كُلِ هذا أنه لابد للطبيعة من أصل في ذكاء مفرد واحد وهو مصدر و أساس كل كينونة مُصممة فيها حسب العلاقات الداخلية المشتركة ، فكل الأشياء المتصلة معاً في تجانس متبادل ينبغي أن تتوحد بينها في كينونة واحدة تعتمد عليها بصورة جماعية ، لذلك توجد كينونة لكل الكينونات ، وهي ذكاء لا نهائي وحكمة كافية بذاتها. وبالتالي يرى كانط أننا يجب أن لا ننكر قدرة الطبيعة ، فكلما زاد كمال الطبيعة وقادت قوانينها بصورة أفضل إلى النظام والتجانس ، كلما زاد الدليل على حكمة الله. فهذا النظام الذي ينشأ من الطبيعة ليس بالصدفة و أنما بالضرورة، والقوانين الطبيعية هي أصل التطور

الميكانيكي لترتيب العالم[١٨]. هذا يعني أننا ننتقل من تجانس ونظام الطبيعة إلى أثبات القوانين الداخلية للكون ومن ثم ننتقل من القوانين الداخلية الى وجود الله. لكن هل قوانين الطبيعة هذه قادرة على تنظيم بنية الكواكب دون تدخل يد الله المباشرة ؟

رأى كانط أننا إن أردنا أن نحكم فيما لو كانت الطبيعة قادرة بما يكفي لتنظيم بُنية الكواكب من خلال تسلسل ميكانيكي لقوانين حركتها، فعلينا أن نضع في الإعتبار بساطة الحركات التي ترقبها الأجسام السماوية العلوية ؛ ليس فيها شيء يتطلب تصميماً أكثر دقة مما تجلبه معها القواعد الكونية للقوى الطبيعية . فالحركات المدارية تنشأ من مجموعة القوة المتحركة للأسفل . وهي نتيجة أكيدة لخصائص المادة والحركة القاذفة التي يمكن أعتبارها تأثيراً للحركة الأولى. إذ أن السرعة المُتحققة من خلال السقوط للأسفل الذي فيه فقط سبباً ضروريا يحرف السقوط العمودي للجانب. ويؤكد كانط أنه من نقطة جمع القوة المضغوطة مع قوة الجذب النابعة من القوة الطبيعية فصاعداً لا يحصل أي تغيير ، وهذا التجانس في الحركة هو الأصل الميكانيكي ، ويُحدد كانط أسباباً تجعلنا لا نشك بتجانس الحركة وهي

١. أن لهذه الحركات أتجاه مستمر مشترك ، من بين الكواكب الرئيسة الستة والتوابع العشرة و لا واحد يتحرك سواء حركة للأمام أو تدويرياً حول المحور بأي أتجاه آخر إلا من الغرب إلى الشرق. مُنسق بصورة دقيقة جداً بحيث أنها تنحرف فقط قليلاً عن المستوى العام المشترك ، وهذه الحركات الجماعية للأجرام السماوية تنشأ و تتقرر بصورة ميكانيكية طبقاً لقوانين الطبيعة.

٢. تتكون السرعات كما يجب أن تكون في فضاء ، قوة الحركة فيه في النقطة المركزية وهي تتناقص بدرجات منتظمة لمسافات من هذه النقطة وتضيع في أبعد المسافات مع الأستهلاك الأجمالي للحركة التي تُزيح السقوط العمودي للجانب فقط بصورة طفيفة جداً[١٩].

أن الطبيعة قادرة على تنظيم بنية الكواكب لأن الحركة كما أشار كانط بسيطة ، كما بيّنها . إذن فكانط من خلال عرضه العلمي للموجودات ونظامها وقوانينها في هذا الوجود وان هذه القوانين الداخلية ضمنّها صانع هذا الوجود في الطبيعة ، يرى أنها تدل على وجود الله ، وكلما كان هناك دقة نظام في هذا الكون كلما تأكدنا من دقة الخصائص الداخلية لها ، ومن ثم خالق هذه الخصائص.

لقد قدم كانط في بسطه لمذهبه في أصل المجموعة الشمسية وأرتقائها ، تنازلات عديدة للدين، وللنزعة الغائية القائلة بوجود خطة هادفة في الطبيعة ، التي كانت سائدة في مدارس تلك الايام . فبرغم قوله بأن تطور الطبيعة عملية أبدية ، إلا أنه يفترض أن القوانين الميكانيكية تتكشف في المادة ، ولكنها لا تنبع منها ، وأن الاله – لا المادة – هو علة العالم . وهكذا يحتفظ كانط بالعلة الإلهية الأولى ، وأن يكن بصورة مخففة ، إذ يفصل فعل الخلق الالهي للعالم عن عملية التطور الطبيعي الذي تجري بعيداً عن تدخل المشيئة الإلهية[٢٠]. فقد حاول أثبات وجود كائن مطلق بالأستناد إلى ما في الكون من ترابط دقيق بين

عناصره وما في الطبيعة من قوانين صادقة تشهد بوجود تنظيم حقيقي . ربط كانط تصوره للعلم الطبيعي بتصوره الديني ، وأن كان قد رفض كل الأدلة التقليدية على وجود الله[٢١].

ثالثاء: جدليات أثبات وجود الله

في بحث لكانط بعنوان (الاساس الممكن الوحيد لإثبات وجود الله - ١٧٦٣) يقوم كانط بتصنيف جميع طرائق البرهنة على وجود الله ويختزلها جميعا الى طريقة واحدة ممكنة للبرهان. مؤكداء أن كل الجدليات في إثبات وجود الله مشتقة من مصدرين:-

أ. **المصدر الاول /** من مفاهيم فهم الممكنات فقط . وهنا تبدأ الجدلية :

١. اما من (الممكن) كأساس إلى وجود الله كنتيجة. (الدليل الوجودي).

٢. أو من (الممكن) كنتيجة إلى الوجود المقدس كأساس. (الدليل الغائي).

ب . المصدر الثاني / من فهم الموجود التجريبي العملي. وهنا تبدأ الجدلية :

١. أما ينتقل من الحادث الذي تثبته التجربة ، إلى العلة الأولى التي تحتوي صفات الألوهية. (الدليل الكوني).

٢. أو ربما تتوجه الجدلية مباشرة من ما تعلمنا إياه التجربة إلى كلٍ من وجود وخصائص الكينونة المقدسة.(الدليل اللاهوتي)[٢٢]. وفيما يأتي توضيح كل من هذين المصدرين وما يتضمنه من جدليات :

أ.المصدر الاول :-

١. **الدليل الوجودي :** من خلال البدء من مفهوم (الممكن) فقط كأساس للوجود كنتيجة ، فإن نفس الوجود لا بد و أنه ممكن أكتشافه في المفهوم عن طريق التحليل ، لكن حينها يجب أن يكون الوجود ضمن الممكن كتنبؤ. لكن أثبات الحقيقة التي بصددها هنا ليس ممكناء بهذه الصورة. و يُشير كانط إلى أن هناك أثبات مشهور ناشئ من هذا الأثبات وهو ما يسميه (الأثبات الديكارتي) ، إذ أن الشخص في هذا الأثبات يبدأ بالتفكير بمفهوم الشيء الممكن وفيه يتصور و يتخيل أن كل الكمال الحقيقي هو موحد. وبالتالي نفترض أن الوجود هو أيضاء كمال الأشياء. و أن وجود الكينونة الأكثر كمالاء مأخوذ من امكانية مثل هذه الكينونة . فيرى كانط أنه يمكن أن نستنتج نفس الاستنتاج من مفهوم أي شيء كان قد تم تخيله ببساطة على أنه الشيء الأكثر كمالاء في نوعه. مثلاء يمكن أستنتاج وجود العالم الأكثر كمالاء من حقيقة مجردة بسيطة و هي أن ذلك العالم يمكن تخيله والتفكير به. وكانط يرى أن الوجود ليس نبوءة أبداء ، وبالتالي ليس تنبوء بالكمال. ولذلك ليس من الممكن الاستنتاج من تعريف يحتوي على خليط أعتباطي من تنبوءات مختلفة مُستعملة لتكوين مفهوم شيء ممكن ، وهو وجود هذا الشيء وبالتالي أيضاء وجود الله[٢٣].

إن جذور الدليل الوجودي الفلسفية ، قديمة قد تصل إلى بارمنيدس ، الذي رأى أن هذا الكائن – الإله – غير مخلوق و غير نهائي وغير قابل للتغيير ، لم يكن في الماضي ولن يكون ، وهو ليس بحاجة الى شئ ما ، وهو موجود في كل مكان وهو أصل كل ما هو عقلي. وعلى الرغم من الأمتداد التاريخي لجذور الدليل الوجودي لبارمنيدس ، إلا أن الفضل في صياغة هذا الدليل صياغة واضحة تعود إلى القديس آنسلم في القرن الحادي عشر ميلادي[٢٤]. إذ يرى آنسلم أن قول شخص ما أنه ليس هناك أله ، يجعلنا نستنتج أن الله موجود في عقل حتى من ينكر وجوده[٢٥] ، فالله هو الكائن الذي لا يمكن تصور كائن أكبر منه. وقيمة دليل آنسلم أنه وصل إلى أعمق خفايا أوليات العقل البشري[٢٦]. فآنسلم يُخاطب الله بقوله : ((ربي أنت الذي يجعلني أعقل الإيمان ، فوفقني أن أعقل بقدر ما تراه صالحاً لي ، إنك موجود كما نؤمن ، وإنك موجود على النحو الذي نؤمن به ، نحن نؤمن إننا لا نستطيع أن نتصور أعظم منك ...))[٢٧] ثم لاحقاً نجد هذا الدليل عند ديكارت وليبنتز.

رفض كانط الدليل الوجودي لأنه رأى فيه تناقضاً ، فكيف يتم وضع الوجود في تصور شيء ممكن ؟ إن الدليل الوجودي مجرد تحصيل حاصل . فعندما نقول هذا الشيء موجود، هل هي قضية تحليلية أم قضية تركيبية ؟ إن كانت تحليلية فإن وجود الشيء لا يُضيف شيئاً جديداً إلى تصوري له، فإما أن يكون الشيء هو تصوري له ، و أما أن يكون الوجود جزءاً جديداً من الإمكانية فيستنبط منها ، وكِلا الحالتين تحصيل حاصل ، لأننا نضع في تصورنا للموضوع الشئ وصفاته ثم نكرر في المحمول ما أفترضناه في الموضوع من قبل. ولو كانت القضية تركيبية فكيف نقول أننا لا يُمكننا إلغاء الوجود كمحمول و إلا وقعنا في التناقض لإن الوقوع في التناقض من خصائص القضية التحليلية. وبالتالي يقوم الدليل الوجودي – حسب كانط – على الخلط بين المحمول المنطقي والمحمول الواقعي ، فالمحمول المنطقي يمكن تصوره في الموضوع أما المحمول الواقعي فأنه تحديد يُضاف إلى الموضوع دون أن يكون متضمناً فيه[٢٨].

٢. **الدليل الغائي :** من ناحية أستنتاج ممكنات الاشياء كنتائج لوجود الله كأساس ، هو جدل من شكل آخر مختلف تماماً. فالذي يفحصه كانط هنا هو ؛ فيما لو أن حقيقة شيء ما ممكن أن لا تفترض مقدماً أن هذا الشيء موجود ، وفيما لو أن ذلك الوجود الذي بدونه يمكن حتى للممكن الداخلي أن يحصل ، لا يضم تلك الخصائص التي تم جمعها في مفهوم الله[٢٩]. يقول كانط : ((من الواضح في هذه الحالة إنني لا يمكنني أن أستنتج وجوداً ما من إمكانية مشترطة ما لم أفترض مقدماً الوجود لشيء ما ممكن فقط في ظل ظروف معينة ، لأن الإمكانية المشترطة ببساطة تدل أن شيء ما يمكن أن يوجد فقط في صلات معينة ، فإن وجود السبب يظهر و يتوضح فقط طالما أن النتيجة موجودة . ولكن هنا يجب أن نستنتج السبب من وجود النتيجة . من هنا ، فإن مثل هذا الأثبات

يمكن أستقراءه من الإمكانية الداخلية فيما لو أنه سيحصل فعلاً بالأساس))[٣٠] أي أنه يستنتج من الإمكانية الداخلية للأشياء وجود كائن هو الذي أودعها .

وهنا كما يرى كانط يمكن ملاحظة أنه يمكن أيضا أن ينبع من الإمكانية المطلقة لكل الأشياء بصورة عامة. لأنها فقط أمكانية داخلية بنفسها ، يُفترض أن نعرف عنها وعن أنها تفترض مقدماً وجوداً ما ، و ليس من متنبؤات مُحددة طبقاً لها يكون شيء ممكن ببساطة و لا يُحدد أبداً أي شيء موجود . طبقاً لذلك يجب أن يتم أستنتاج وجود الله من الامكانية الداخلية لكل الاشياء التي يمكن التفكير بها و تخيلها[٣١].

يرى كانط إننا إذا تصاعدنا في سلسلة العلل الى العلة الاولى او الى البداية فإنه لا مجال بعد لأي تصاعد . ويعترض كانط على الصيغة المعتادة للدليل الوجودي على وجود الله ، إذ يؤكد أن تصور الله لا يُحدّد وجوده واقعياً بل مثالياً و ذهنياً فقط ، أي أننا من الماهية نستنبط فقط الوجود المثالي الذهني ، لا الوجود الواقعي. والخطأ في الدليل الوجودي هو خلطه بين المثالي الذهني وبين الواقعي . وبدلاً من الدليل الوجودي يأخُذ كانط بدليل مأخوذ من تصور الممكن[٣٢]. لكن مع ذلك لا نجد أن كانط يدافع كثيراً عن هذا الدليل ، بل وكما يُشير نفسه إلى أنه مُعجب بهذا الدليل وليس مقتنعاً تماماً به . لذلك يصفه في بالأساس الممكن الوحيد في إثبات وجود الله ، أي وصفه بأنه ممكن ، مما يعني أنه قابل للنقد والدحض ، لذا لاحقاً سنجد كانط في نقد العقل المحض ، سيدحض جميع هذه الأدلة بما فيها هذا الدليل ، ليشرع في وضع أسس الدليل الأخلاقي.

ب . المصدر الثاني :-

١. **الدليل الكوني :** وهذا الدليل مبني على التجربة لا على المنطق أي أنه دليل بعدي وليس قبلي وهذا يعني أن علينا ألا نتوقع أن تلزم النتيجة بصورة ضرورية من المقدمات، يكفي أن تكون النتيجة أفضل طريقة لتفسير الظواهر[٣٣] . وفي تاريخ الفلسفة نجد هذا الدليل عند القديس توما الأكويني وليبنتز ، إذ أن توما الأكويني قدم خمسُ أدلة ناقش فيها أن وجود الله يُمكن البرهنة عليه ، على أساس تقدير حقائق معينة عن العالم تبدو واضحة لنا. ومن هذه الأدلة ما يتعلق بفكرتي الإمكانية والضرورة. فنحنُ نجرب الأشياء القادرة على الوجود واللاوجود ، وهي خاضعة للتوالد والأندثار. واذا كانت كل الأشياء قادرة على الأندثار ، ففي وقت ما لا شيء يظل موجوداً ، ومن هنا لا شيء موجود الآن. مادامت ليست كل الكائنات قادرة على الوجود وعدم الوجود ، فبالضرورة لابد من وجود كائن . وكل كائن ضروري له سبب في ضرورته ، ولا يمكن العودة الى اللانهائية مع الكائنات الضرورية ، لذا لابد من وجود كائن لا يعتمد على أي شيء في ضرورته وهو الله[٣٤]. أما ليبنتز فإنه يؤسس هذا الدليل على مبدأ السبب الكافي ، فأية واقعة لا يمكن أن تكون موجودة ، ولا أية مسألة تكون صادقة من دون أن يكون هناك سبب كافٍ يُحدد لماذا هي هكذا وليس غير ذلك. ولا بد من سبب كافٍ يُعلل

سبب وجود سلسلة من الكائنات المحتملة ، وهذه السلسلة لا تحتوي سبباً كافياً يوضح علة وجودها، والسبب الكافي يجب ان يكون في موجود ضروري يقع خارج العالم ومن ثم فهنالك كائن ضروري يقع خارج العالم[٣٥].

رأى كانط أن هذا الدليل يبدأ بالإثبات الذي يستخدم قواعد الاستنتاج السببي من المفاهيم التجريبية العملية الموجودة حول وجود السبب الأول المستقل ، وثم إخضاع ذلك المفهوم للتحليل المنطقي و بتوجّه نحو خصائص ذلك السبب الذي يخلق القدسية. وهذا الاثبات مشهور وله منزلة كبيرة نتيجة لعمل فلاسفة مدرسة وولف بالذات. وعلى اي حال فالأثبات مستحيل بالكمال . وهنا يعترف كانط أن هذه الجدلية ذات مصداقية و صحيحة طالما أن الطرح هو : لو أن شيئاً ما يوجد ، فإن شيئاً آخر يكون موجوداً ، وهو لا يعتمد بنفسه على أي شيء آخر. وعليه يعترف كانط بأن وجود أحد ما أو أشياء عديدة هي بحد ذاتها ليست تأثيرات لشيء آخر و تكون مُثبته بصورة جيدة[٣٦].

٢. **الدليل اللاهوتي :**

اما الجانب الآخر من الجدلية طالما أن الطرح هو أن هذا الشيء المستقل ضروري بالمطلق واقل اعتماداً عليه فإن الجدلية يجب ان تستخدم مبدأ السبب الكافي الذي لا يزال لم يُفند. و على أية حال لا بد من وجود شيء ما بالضرورة. وهنا رأى كانط أنه يجب أن نشتق الكمال السامي والوحدة من مفهوم الكينونة الضرورية بالمطلق. ومفهوم الضرورة المطلقة الذي هو أساس هذه الجدلية ويمكن أستيعابه بصورتين :-

أ. **الضرورة المنطقية :** حيث يجب بيان أن ما يُضاد الكينونة المتصفة بالكمال ، يُناقض نفسه ، فإن تلك الكينونة هي الوحيدة ضرورية بالمطلق من حيث الوجود. وبما أن مسيرة الذات نفسها في أتحاد كل الواقع يتجه إلى كينونة واحدة ، فيجب أثبات أنها كينونة نادرة وفريدة ، من خلال تحليل مفهوم ما هو ضروري.

ب. **المفاهيم التجريبية العملية :-** حيث يتم إستنتاج وجود الله وخصائصه من المفاهيم التجريبية العملية للأشياء الموجودة ، وهذا الاثبات ليس فقط ممكناً و أنما يستحق بالكامل أن نعُطيه الكمال المناسب في الجهود المجتمعة للفلاسفة. حيث تُظهر أشياء العالم التي تكشف عن نفسها لحواسنا أشارات خصائص مُميزة للصدفة ؛ ليس هذا فقط ، فإنها تُقدم بواسطة النظام والنوايا التي دائماً يجب مواجهتها أثباتات عن وجود مُؤلف عقلاني ذو حكمة و سلطة كبيرة جداً تسمح لنا وحدة مثل هذا الكلّ المُتمدد بأن نستنتج أن كل هذه الأشياء جاءت للوجود بواسطة مُؤلف مفرد واحد. وحتى لو أن هذه الأستنتاجات ينقصها القوة والبُعد فأن قوتّها على أية حال لا خلاف حولها بحيث لا يبقى مخلوق عقلاني واحد يستعمل قواعد الحس العام الطبيعي ولو للحظة واحدة في حالة شكّ حول هذه القضايا[٣٧].

بعد أن عرض كانط الأدلة ينتهي إلى أنه هناك فقط دليلان ممكنان عن وجود الله ، فمن كل الاحكام السابقة يتضح أن المجادلة الممكنة الوحيدة لوجود الله هي تلك التي يُنظر فيها الى الامكانية الداخلية في كل الأشياء بحد ذاتها كشيء يفترض مقدماً وجود ما أو آخر . وكذلك يتضح لو أن المجادلة التي نقطة بدايتها ما سنتعلمه من الأشياء الموجودة ، فإن الإثبات يمكن فقط أن يُثبت وجود و تكوين السبب الأعلى السامي لو أنه أنبثق من الخصائص التي يستوعبها و يمتلكها العالم ومن الجدل ذو الصلة بالكون ككل . وهذين الاثباتين او الدليلين هما الدليل الوجودي والدليل الكوني[٣٨].

ويُشير كانط إلى أن الدليل الكوني قديم قدم العقل البشري . فهو طبيعي جداً ومقنع جداً و ذو بعد كبير وهو يتماشى مع التقدم في فهمنا ، وهو قائم طالما أن الكينونات العقلية تريد أن تنخرط في التأملات النبيلة التي هدفها هو أن نعرف الله من أعماله. وبالرغم من تميّز هذا الدليل إلا أنه لن يكون قادراً متمكناً من التأكد والدقة رياضياً لن يُثبت أبداً أكثر من وجود خالق كبير عظيم لا يمكننا أستيعابه لمجمل ما يُقدم الى حواسنا. لن يكون قادراً على أثبات وجود الأكثر كمالاً بين كل الكينونات الممكنة . كون أن هناك موجوداً اولاً واحداً وحيداً ربما هو الشيء الاكثر إحتمالاً في العالم ، ولكن القناعة التي تتولد عنه لن تُحقق أبداً الإكتمال الضروري لتحدي الشك الاكثر تغطرساً وهذا يعني أننا لا نستطيع استنتاج وجود الخصائص في السبب والتي هي أكثر في العدد و أكبر في الكمية مما هو ضروري لفهم درجة و طبيعة التأثيرات الناشئة من ذلك السبب بإفتراض أن السبب الوحيد لدينا لإفتراض أن هذا السبب موجود هو ما تقدمه لنا النتائج و الآثار[٣٩]. يقول كانط : ((الآن ، ندرك وجود كمال و عظمة ونظام أكبر في العالم . ولكن الإستنتاج الذي يمكن أن نصل إليه من هذا بقوة منطقية هو أن سبب هذه الأشياء يجب أن يكون فيه درجة عالية من الفهم والسلطة والخير . وعلى أية حال ، نحن لسنا مُجبرين على إستنتاج أن نفس هذا السبب كلي ـ الوجود او كلي ـ السلطة ، وهكذا ؛ الكل ـ الذي نحن فيه نلمح للوحدة والترابط المستمر أمر لا يمكن قياسه ، يمكننا أن نستنتج بالمنطق الجيد من هذا أنه كان هناك خالق واحد مفرد مسؤول عن هذا الكل[٤٠])).

أن كانط يرى إذن أنه رغم جهلنا أو عدم معرفتنا بجوانب عديدة من الموجودات فأننا نستطيع أن نستنتج من الجزء المألوف او المعروف لنا أن هناك خالقاً ورغم معقولية هذه الطريقة في التفكير والاستنتاج الا انه ليس استنتاجاً صارماً

أما الدليل الوجودي فيبدو قادراً على توليد القوة المطلوبة ، فلو طُرح سؤال (أي من الدليلين هو الأفضل ؟) يقول كانط أن رده سيكون التالي : ((لو أن الموضوع يتعلّق بالدقة المنطقية والاكتمال، فإن الدليل الوجودي هو الأفضل ، أما اذا كنا نبحث عن الوصول الى حس مشترك عميق ووضوح في الانطباع والإعجاب والاقناع في العلاقة مع الدوافع الاخلاقية للبشر، فإن الأفضلية ستكون ولا بدّ للدليل الكوني[٤١])).

إذن بدأ كانط بتقديم أربع جدليات في إثبات وجود الله ثم يُقلصها الى أثنتين رئيسيتين، ويُشير الى أن كل من الدليل الديكارتي والدليل الناشيء عن مفهوم الوجود العملي التجريبي والذي يشتمل على تحليل مفهوم الشيء المستقل هو خاطيء ومستحيل ، ولا يرى إنها ادلة تنقصها القوة ، بل هي لا تُثبت شيئاً أطلاقاً وبيَّن كذلك أن الدليل الذي يشتق وجود الله وخصائص الكينونة المقدسة من خصائص الاشياء الموجودة في العالم يضم مجادلة قوية مباشرة لكنها ايضا ليست قادرة على انتاج القوة المطلوبة[٤٢] .

وأخيراً يقول كانط : ((يجب و ببساطة أن نجد الفرق بين وجود الله ووجود الأشياء الأخرى في حقيقة أن إنكار الوجود المُقدس هو لا شيء بالمطلق . أن الإمكانية الداخلية وهي جوهر الأشياء هي تلك التي بإلغائها نمحو كل ما يمكن التفكير به . لذلك ، هنا تتكون العلامة الخاصة المميزة لوجود جوهر كل الكينونات. هنا بالضبط يجب أن نبحث عن أثبات وجود الله ، واذا فكرت بأن الإثبات لن يكون هنا أبداً فعليك أن تترك هذا المسار غير المحسوم و تتبع مجالاً أوسع في العقل البشري. من الضروري بالمطلق أن نقنع أنفسنا بأن الله موجود وأن إظهار و بيان وجوده على أية حال ليس ضرورياً جداً[٤٣])).

يرى كانط في نهاية البحث على الرغم من أننا يجب أن نقتنع بوجود الله بصورة يقينية فإنه ليس من الضروري تماماً أن نبرهن على وجوده ، لأن العناية الالهية لم ترد أنه لا بد أن تكون الطريقة الوحيدة لبلوغ معرفة بالله عن طريق تحذلقات ميتافيزيقية . و إذا كان الامر هكذا ، بالفعل ، فإننا سنكون في حالة يُرثى لها ، لأنه لم يُقدم بالفعل برهان معرفي بعد ، يزودنا بتشابه أكيد لبرهان الرياضيات. و مع ذلك ، فمن الطبيعي أن يكون على الفيلسوف المحترف أن يبحث عما إذا كان هناك برهان دقيق على وجود الله ممكناً[٤٤] .

الخاتمة :

من خلال تتبع آراء كانط حول مفهوم الله قبل ثلاثيته النقدية يمكن أن نُحدد مجموعة من النقاط الأساسية التي تمثل موقفه:-

١. رأى كانط أن الله أودع الخصائص الكامنة في الكون ، وما يحدث لاحقاً هو نتيجة لقوانين الطبيعة وليس ليد الله المباشرة في نظام الكون.
٢. يُشكل الله المادة الأساسية لخلق عوالم اخرى أكبر و أعظم ، بمعنى لا ينشغل بتفصيلات الكون الجزئية فقوانين الطبيعة كفيلة بإدارتها ، لأنها تمتلك الخصائص الداخلية التي وضعها الله فيها.
٣. أستدل كانط من خلال القوانين الداخلية لا من الموجودات الظاهرية على وجود الله. فالطبيعة قادرة على تنظيم بنية الكواكب لأن الحركة كما أشار كانط بسيطة .
٤. من خلال عرض كانط العلمي للموجودات ونظامها وقوانينها في هذا الوجود فالقوانين الداخلية لها قد ضمنّها صانع هذا الوجود في الطبيعة.

٥. أنتقد كانط أدلة وجود الله في الفلسفة وأبقى على دليل واحد هو الدليل الغائي ، لكن مع ذلك لا نجد أن كانط يدافع كثيراً عن هذا الدليل ، بل أشار إلى أنه مُعجب بهذا الدليل وليس مقتنعاً تماماً به . لذلك يصفه في بالأساس الممكن الوحيد في إثبات وجود الله ، أي وصفه بأنه ممكن ، مما يعني أنه قابل للنقد والدحض .

٦. يبدو واضحاً موقف كانط تأسيس لما وضعه لاحقاً في نقد العقل المحض ، إذ سيدحض جميع هذه الأدلة بما فيها الدليل الغائي ، ليشرع في وضع أسس الدليل الأخلاقي.

٧. أن كانط يرى إذن أنه رغم جهلنا أو عدم معرفتنا بجوانب عديدة من الموجودات فأننا نستطيع أن نستنتج من الجزء المألوف او المعروف لنا أن هناك خالقاً ورغم معقولية هذه الطريقة في التفكير والاستنتاج الا انه ليس استنتاجاً صارماً

٨. يرى كانط في نهاية بحثه (الاساس الممكن الوحيد في إثبات وجود الله) بالرغم من أننا يجب أن نقتنع بوجود الله بصورة يقينية فإنه ليس من الضروري تماماً أن نبرهن على وجوده.

الهوامش

(*) يتفق معظم الباحثين على أن عصر التنوير يُشكل مُنعطفاً تاريخياً حاسماً في تاريخ الحضارة الأوروبية. والتنوير لم يحصُل فجأة ، بل كان عملية تدريجية ، وبراعم التنوير الأولى أبتدأت قبل كانط و أن كانت قد نضجت على يديه ، فما كان مستحيلاً التفكير فيه أصبح ممكناً التفكير فيه ، وما كان عصياً على النقد أصبح خاضعاً له ، وهنا تكمُن لحظة التنوير الأساسية . يُنظر ، هاشم صالح، مدخل الى التنوير الاوروبي ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٢ . و قد عرف كانط التنوير بأنه خروج الأنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه ، والذي يعني عجزه عن أستعمال عقله دون إرشاد الغير. وكان شعار التنوير – حسب كانط - (تجرأ على أن تعرف ، كُن جريئاً في أستعمال عقلك أنت). وفي تناول كانط بلوغ الانوار أعتبر الدين من المسائل الجوهرية ، لأن القصور في مجال الدين هو من بين أنواع القصور أشدها مضرة. يُنظر كانط ، ثلاث نصوص ، ما هي الأنوار ، ترجمة محمود بن جماعة ، دار محمد علي للنشر ، سلسلة أضواء ، ط ١ ، صفاقس – تونس ، ٢٠٠٥ ، ص ٨٥ .

(١) آلن وود ، عقول عظيمة – كانط فيلسوف النقد ، ترجمة بدوي عبدالفتاح ، كلية الآداب – جامعة القاهرة ، آفاق للنشر والتوزيع ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٤ ، ص ٢٢.

(٢) يُنظر كانط ، ثلاث نصوص ، ما التوجه في التفكير؟ ، مصدر سابق ، ص ١٠٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(٤) آلن وود ، كانط – عقول عظيمة – ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢ .

(*) السدم : هي سُحب كونية ضخمة تتكون من غازات أو جزئيات كونية دقيقة ، ويوجد في مجرتنا عدد كبير منها ، وهي ثلاثة أنواع سُدم كوكبية ، سدم مجرية وسدُم فوق المجرية . يُنظر ، عبدالعزيز طريح شرف ، الجغرافيا الطبيعية – أشكال سطح الارض - ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية – مصر ، ١٩٩٣ ، ص ١٦ – ١٧ . والنظرية السديمية تُعرف بأسم نظرية (كانط - لابلاس) في تفسير أصل الكون. رأى كانط أن

نظام الأجرام السماوية تَكّون في البدء بفعل دوران سديم أصلي. يُنظر ، زكريا ابراهيم ، كانت أو الفلسفة النقدية ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

(**) بيير سيمون لابلاس، رياضي وفلكي فرنسي، يُعد من أقوى وأعنف دُعاة الحتمية ، التي جعلها تشمل الظواهر الطبيعية كُلها صغيرها وكبيرها ، ولذلك وُصفت حتميتهُ بـ (الحتمية الكونية) ، وقد ألف كتابه المشهور (الميكانيكا السماوية) وعرض فيه النظام الكوني النيوتوني عرضا منظماً ، فجمع فيه بين صلابة العلم النيوتوني وغزارة العلم الديكارتي. وكان لابلاس يرى ان النظام الشمسي يُعيد ضبط نفسه ولا حاجة لتدخل الهي لتفسير لماذا بقي هذا النظام على حاله ليومنا . يُنظر ، محمد عابد الجابري ، مدخل إلى فلسفة العلوم – العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي- ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، ط ٥ ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٩٣. وأيضاً يُنظر ستيفن هوكينج ، ليونارد ملودينوو ، التصميم العظيم – مرجع سابق، ص ٤١.

(٥) جيمس كولينز ، الله في الفلسفة الحديثة ، ترجمة فؤاد كامل ، ط١ ، آفاق للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ٢٠١٩، ص ٢٣٣.

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٣٣.

(7) Immanuel kant , Universal natural history and the theory of the heavens , Translated by Ian Johnston, Vancouver island university, Nanaimo, British Columbia, canada , richer resources publications, Arlington, virginia, USA, 2008 , p.

(8) Ibid, P. 91

(*) درب التبانة هو اسم المجرة التي تنتمي إليها مجموعتنا الشمسية. وهذه المجرة واحدة من بلايين وربما مئات البلايين من المجرات التي لا نلحظها. يُنظر ، كارل ساجان ، كوكب الأرض – نقطة زرقاء باهتة – رؤية لمستقبل الانسان في الفضاء ، ترجمة شهرت العالم ، مراجعة حسين بيومي ، سلسلة عالم المعرفة ٢٥٤ ، الكويت ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٦.

(9) Immanuel kant , Universal natural history and the theory of the heavens ,Ibid, P.91

(10) Ibid, P. 91- 92.

(11) Ibid, P. 92 .

(12) Ibid,P.99.

(13) Ibid,P.99 – 100.

(14) Ibid,P.101.

(١٥) جيمس كولينز ، الله في الفلسفة الحديثة ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤.

(16) Immanuel kant , Universal natural history and the theory of the heavens , Ibid ,P. 114.

(17) Ibid ,P. 114 – 115.

(18) Ibid , p. 116.

(19) Ibid , p. 116 - 118.

(٢٠) مجموعة من الاساتذة السوفيات ، موجز تاريخ الفلسفة ، ترجمة وتقديم د. توفيق سلوم ، ط١ ، دار الفارابي، بيروت – لبنان ، ١٩٨٩ ، ص ٢٥٢ .

(٢١) زكريا ابراهيم ، كانت او الفلسفة النقدية – عبقريات فلسفية ١ - ، دار مصر ،، ص ٣١.

(22) Immanuel kant , theoretical philosophy 1755- 1770, the only possible argument in support of a demonstration of the existence of God , translated and edited by DAVID WALFORD, saint davids university college, lampeter, IN collaboration with RALF MEERBOTE University of Rochester , CAMBRIDGE , University PRESS, P.195 – 196.

(٢٣) Ibid , P.196.

(٢٤) يُنظر ، يوسف سايفرت ، البرهان الفينومينولوجي الواقعي على وجود الله ، ترجمة حميد لشهب ، جداول للنشر ، الرباط – المغرب ، ط١ ، ٢٠١٥ ، ص ٦٩ – ٧٠ ، ٧٥ .

(٢٥) مارتن .و.ف. ستون ، فلسفة الدين ، ترجمة سهيل نجم ، مراجعة علي عبود المحمداوي ، دار قناديل ، بغداد – العراق ، ط ١ ، ٢٠١٧ ، ص ٤٦.

(٢٦) جونو ، وبوجوان ، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطة ، ترجمة علي زيعور ، علي مقلّد ، مؤسسة عزالدين للنشر ، بيروت – لبنان ،١٩٩٣ ، ص ٧٤ – ٧٥ .

(٢٧) حسن حنفي ، نصوص من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، نص آنسلم ، في أن الله موجوداً حقاً ، التنوير للنشر ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ص ١٢٦ .

(٢٨) حسن حنفي ، نصوص من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .

(29) Immanuel kant , theoretical philosophy 1755- 1770, the only possible argument in support of a demonstration of the existence of God , Ibid ,P. 196.

(30) Ibid ,P. 196 - 197.

(31) Ibid , P. 197.

(٣٢) عبدالرحمن بدوي ، إمانويل كنت ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٧، ص ١٣٦

(٣٣) جوليان باجيني ، الفلسفة موضوعات مفتاحية ـ ترجمة أديب يوسف شيش ، دار التكوين، دمشق – سوريا، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص ٢١٩.

(٣٤) مارتن .و.ف. ستون ، فلسفة الدين ، ترجمة سهيل نجم ، مرجع سابق ، ص ٦٩ – ٧٠ .

(٣٥) المرجع السابق ، ص ٧٠ – ٧١ .

(36) Immanuel kant , theoretical philosophy 1755- 1770, the only possible argument in support of a demonstration of the existence of God Ibid,P.197 .

(37) Ibid,P.197 – 198.

(38) Ibid,P.199.

([39]) Ibid,P. 199.

([40]) Ibid, P. 199 – 200.

([41]) Ibid, P. 200.

([42]) Ibid, P. 200 – 201.

([43]) Ibid ,P. 201.

([٤٤]) فردريك كوبلستون ، تاريخ الفلسفة ، م ٦ ، الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط ، ترجمة حبيب الشاروني ، محمود السيد أحمد ، مراجعة وتقديم إمام عبدالفتاح إمام ، المركز القومي للترجمة أشراف جابر عصفور ، ط ١ ، ٢٠١٠ ، ص ٢٦٩ .

المصادر والمراجع

١. آلن وود ، عقول عظيمة – كانط فيلسوف النقد ، ترجمة بدوي عبدالفتاح ، كلية الآداب – جامعة القاهرة ، آفاق للنشر والتوزيع ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٤.

٢. جوليان باجيني ، الفلسفة موضوعات مفتاحية ـ ترجمة أديب يوسف شيش ، دار التكوين، دمشق – سوريا، ط١ ، ٢٠١٠.

٣. جونو ، وبوجوان ، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية ، ترجمة علي زيعور ، علي مقلّد ، مؤسسة عزالدين للنشر ، بيروت – لبنان ،١٩٩٣.

٤. جيمس كولينز ، الله في الفلسفة الحديثة ، ترجمة فؤاد كامل ، ط١ ، آفاق للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، ٢٠١٩ .

٥. حسن حنفي ، نصوص من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، نص آنسلم ، في أن الله موجوداً حقاً ، التنوير للنشر ، ط١ ، ٢٠٠٨.

٦. زكريا ابراهيم ، كانت او الفلسفة النقدية – عبقريات فلسفية ١ ـ ، دار مصر .

٧. ستيفن هوكينج ، ليونارد ملودينوو ، التصميم العظيم – اجابات جديدة على أسئلة الكون الكبرى – ترجمة أيمن أحمد عياد ، التنوير ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٣

٨. عبدالرحمن بدوي ، إمانويل كنت ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٧

٩. عبدالعزيز طريح شرف ، الجغرافيا الطبيعية – أشكال سطح الارض ـ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية – مصر ، ١٩٩٣ .

١٠. فردريك كوبلستون ، تاريخ الفلسفة ، م ٦ ، الفلسفة الحديثة من عصر التنوير في فرنسا حتى كانط ، ترجمة حبيب الشاروني ، محمود السيد أحمد ، مراجعة وتقديم إمام عبدالفتاح إمام ، المركز القومي للترجمة أشراف جابر عصفور ، ط ١ ، ٢٠١٠.

١١. كارل ساجان ، كوكب الأرض – نقطة زرقاء باهتة – رؤية لمستقبل الانسان في الفضاء ، ترجمة شهرت العالم ، مراجعة حسين بيومي ، سلسلة عالم المعرفة ٢٥٤ ، الكويت ، ٢٠٠٠ .

١٢. كانط ، ثلاث نصوص ، ما هي الأنوار ، ترجمة محمود بن جماعة ، دار محمد علي للنشر ، سلسلة أضواء ، ط ١ ، صفاقس – تونس ، ٢٠٠٥.

١٣. مارتن .و.ف. ستون ، فلسفة الدين ، ترجمة سهيل نجم ، مراجعة علي عبود المحمداوي ، دار قناديل ، بغداد – العراق ، ط ١ ، ٢٠١٧.

١٤. مجموعة من الاساتذة السوفيات ، موجز تاريخ الفلسفة ، ترجمة وتقديم د. توفيق سلوم ، ط١ ، دار الفارابي ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٩ .

١٥. محمد عابد الجابري ، مدخل إلى فلسفة العلوم – العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي- ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، ط ٥ ، ٢٠٠٢ ,

١٦. هاشم صالح، مدخل الى التنوير الاوروبي ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ .

١٧. يوسف سايفرت ، البرهان الفينومينولوجي الواقعي على وجود الله ، ترجمة حميد لشهب ، جداول للنشر ، الرباط – المغرب ، ط١ ، ٢٠١٥ .

١٨. Immanuel Kant , theoretical philosophy 1755- 1770, the only possible argument in support of a demonstration of the existence of God , translated and edited by DAVID WALFORD, saint divides university college, lampeter, IN collaboration with RALF MEERBOTE University of Rochester , CAMBRIDGE , University PRESS.

١٩. Immanuel Kant , Universal natural history and the theory of the heavens, Translated by Ian Johnston, Vancouver island university, Nanaimo, British Columbia, Canada , richer resources publications, Arlington, Virginia, USA, 2008.

Sources and references

1. Alan Wood, Great Minds - Kant Philosopher of Criticism, translated by Badawi Abdel Fattah, Faculty of Arts - Cairo University, Prospects for Publishing and Distribution, National Center for Translation, 2014.
2. Julian Baggini, Philosophy Key Topics - Translated by Adeeb Youssef Shish, Dar Al-Takween, Damascus - Syria, 1st Edition, 2010.
3. Juneau, and Boujouan, History of Philosophy and Science in Central Europe, translated by Ali Ziour, Ali Moqled, Ezzedine Publishing Corporation, Beirut - Lebanon, 1993.
4. James Collins, God in Modern Philosophy, translated Fouad Kamel, i 1, prospects for publication and distribution, Cairo - Egypt 0.2019.
5. Hassan Hanafi, Texts from Medieval Christian Philosophy, A Text of Peace, That God Really Exists, Enlightenment for Publishing, Edition 1, 2008.
6. Zakaria Ibrahim, Kant or critical philosophy - Philosophical Genius 1 -, Dar Misr, p. 116.
7. Stephen Hawking, Leonard Mlodenow, The Great Design - New Answers to the Universe's Great Questions - translated by Ayman Ahmed Ayad, Al-Tanweer, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 2013
8. Abdul Rahman Badawi, Emmanuel Kent, Publications Agency, Kuwait, 1st Edition, 1977
9. Abdulaziz Tarih Sharaf, Physical Geography - Forms of the Earth's Surface - University Culture Foundation, Alexandria - Egypt, 1993.

10. Carl Sagan, Planet Earth - a pale blue dot - a vision for the future of man in space, translated by Shahrat Al-Alam, Hussein Bayoumi review, World of Knowledge Series 254, Kuwait, 2000.
11. Kant, Three Texts, What are the Lights, translated by Mahmoud Bin Jamaa, House of Muhammad Ali for Publishing, Series of Lights, 1st Edition, Sfax - Tunisia, 2005
12. Martin W.F. Stone, Philosophy of Religion, translated by Suhail Najm, reviewed by Ali Abboud Al-Muhammadawi, Dar Qanadil, Baghdad - Iraq, 1st Edition, 2017.
13. A group of Soviet professors, a summary of the history of philosophy, translated and presented by Dr. Tawfiq Salloum, 1st floor, Dar Al-Farabi, Beirut - Lebanon 1989.
14. Muhammad Abed Al-Jabri, Introduction to the Philosophy of Science - Contemporary Rationalism and the Development of Scientific Thought -, Center for Arab Unity Studies, Beirut - Lebanon, 5th Edition, 2002.
15. Hashem Saleh, Introduction to the European Enlightenment, Dar Al Taleea, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 2005.
16. Youssef Seifert, Phenomenological Realistic Proof of the Existence of God, Hamid Lhashab's translation, Tables for publication, Rabat - Morocco, 1st Edition, 2015.
17. Immanuel Kant, theoretical philosophy 1755-1770, the only possible argument in support of a demonstration of the existence of God, translated and edited by DAVID WALFORD, saint divides university college, lampeter, IN collaboration with RALF MEERBOTE University of Rochester, CAMBRIDGE , University PRESS.
18. Immanuel Kant, Universal natural history and the theory of the heavens, Translated by Ian Johnston, Vancouver island university, Nanaimo, British Columbia, Canada, richer resources publications, Arlington, Virginia, USA, 2008.
19. Frederick Cobblestone, History of Philosophy, AD 6, Modern Philosophy from the Age of Enlightenment in France until Kant, translated by Habib al-Sharouni, Mahmoud al-Sayyid Ahmad, reviewed and presented by Imam Abd al-Fattah Imam, the National Center for Translation, Ashraf Jaber Asfour, 1st Edition, 2010.